أثر الرومانسية في الادب العربي في بدايات القرن العشرين

سمير جميل حمود
جامعة خائيين أسبانيا
samirrtve@yahoo.com

ملخص:

تعد الرمانسية ثورة فنية وسياسية والجتماعية وايدلوجية ذات أهمية كبيرة، وقد احتلت جزءاً من القرن التاسع عشر وجزءاً أكبر من القرن العشرين في أوربا وبقية العالم، ومازالت تظهر ملامحها في كثير من الاعمال الادبية حتى الآن، مثل الحرية والفردية والديمقراطية والوطنية وكثير من الامور.

مصطلحات مهمة :

الأدب، الرومانسية، الأدب العربي، المجتمع، الأدب المقارن، الثورة، اوربا.

المقدمة :

يتناول هذا المقال الحركة الرومانسية وأثرها في الادب العربي المعاصر بعد الاتصال والتلاقح الذي تم بين الآداب الاوربية والأدب العربي عن طريق البعثات الدراسية والارساليات الدينية التي كانت تزور بعض البلدان العربية، وكذلك عن طريق الحملات العسكرية (الحملة الفرنسية على مصر) التي أدت الى إحداث تغيير في جوهر الأدب العربي الذي كان سائدا في تلك الحقبة. ولقد لامس هذا التغيير البنية التركيبة في وحدة الوزن والقافية والموضوعات المتناولة إذ بدأ الادب يتناول قضايا الناس ومشاكلهم ومحاولة العثور على حلول لهذه المشاكل، مثل محاربة المستعمر والجهل والامية وتفعيل دور المرأة، فضلاً عن البدء بتناول انماط ادبية جديدة لم تكن معروفة عند الكاتب او لم يكن يعرفها الكاتب ولا القاريء العربي، مثل القصة والرواية والمقال والسير الذاتية، ولقد أدى عدد من

رواد الادب العربي دور الوسيط في نقل المظاهر الادبية الجديدة الى الادب العربي، ونخص بالذكر منهم خليل مطران، وجبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة، وسامي البارودي ونخبة كبيرة من رواد الادب العربي في تلك الحقبة التأريخية المهمة من تأريخ العالم العربي.

مدخل:

الأدب هو أحد أوجه الحضارة، وفيه يمكن ان نستكتشف مراحل ازدهارها الفني، وتقدمها التكنلوجي وكذلك ازدهارها الاقتصادي ونستطيع أن نحدد مراحل تخلفها وجمودها في حقبة محددة من الزمن، وهنا سنحاول اكتشاف الظروف التي اثرت في ازدهار العالم العربي وتخلفه الفني.

فبعد الاتصال الذي جرى بين الادب العربي والآداب الاوربية في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، دخل مرحلة من التغيير والتي انتهت بملامسة وتكسير اعمدته الرئيسة مثل الشكل والمحتوى وحتى الموضوعات المتداولة، تحول جذري الى ادب ذا اسلوب حضاري ليلبي حاجات المجتمع في مرحلة تعد مرحلة معقدة بالنسبة الى العالم العربي. التغيرات التي حصلت كانت جوهرية وتتماشى وحاجة الادب العربي إذ يمكننا ان نقول ان هذه التغيرات كانت ذات طابع عربي، ولاكتشاف هذه التغيرات ارتأينا ان نختار الادب المقارن للوصول الى غايتنا.

إن الاتصال بين الكتاب العرب ونظرائهم الاوربيين كان اولا عن طريق الارساليات الدينية والتعليمية، كالمنح الدراسية والمعايشة المباشرة لاولئك للكتاب مع الحضارت الاوربية، والاحتلال الفرنسي لمصر وروح التجديد للكتاب الذين سكنوا المهجر، وكثير من الوسائط التي أدت دورا جوهريا في تحول الادب العربي الذي كان مغلقا على نفسه.

كانت اوربا فنيا وادبيا خاضعة تحت تاثير تيار الحركة الكلاسيكية الحديثة، وبفضل للتيارت الجديدة والثورة الصناعية الانكليزية (١٧٩٠ – ١٨٤٠)، ظهرت

طبقة برجوازية أرست قواعد الليبرالية من جهة، ويعود كذلك الفضل الى الثورة الفرنسية عام ١٧٧٩ إذ تم الاعلان عن مبادئ الحرية والمساواة والمؤاخاة، ولا ننسى في خضم ذلك الثورة الأمريكية واعلانها الاستقلال عام ١٧٧٦، والتي عدّت حقوق الانسان هي المرتكز لإنشاء الجمهورية كشكل للحكومة والمجتمع كمصدر للقوة. وبفضل كل هذه المعطيات، حلت الحرية محل الاستبداد والظلم، وتراجع السلطة المطلقة، فاتحة طرائق جديدة للديمقراطية والتمثيل المجتمعي .

ولكل الاسباب المذكورة انفا كسرت اوربا كل قيود التيارات القديمة وفتحت اذرعها للتيار الجديد بروح تجديدية لارضاء حاجات المرحلة وهذه الروح هي الرمانسية.

"مثل كل حركة تاريخية كبيرة، الرومانسية تمثل ظاهرة معقدة من المستحيل أن يتم حصرها بتعريف محدد...الصعوبة تتفاقم بفعل انه الى الان مازالت فعالة، لم ترفع سماء مغلقة وكاملة كعصر النهضة، بموصافاتها المتناقضة والزائلة الأحياء، ولكن سيكون غير حقيقي الجزم على وفق بعض المعطيات والتي تتعلق بشيء لم يتبلور ومتفكك وغير قابل للاختزال وتوحيد الملاحظات غير المفهومة"[١] .

إن العالم العربي والاسلامي تأثر ايضا بهذا التيار المتجدد وان كان قد اسيقظ متأخرا من حالة الجمود التي كان يمر بها في الادب كما في السياسة. ففي بدايات القرن العشرين لم تكن ملامح هذه الثورة بعيدة، لأن هذا القرن اتصف كثيرا بالمناداة بالاستقلال، فكانت في داخل وخارج العالم العربي كلمات وكتاب وادباء كانوا يحلمون بصوت قوي واعلى من صرخات المنادة برحيل الغازي، هذه الكلمات شكلت النواة الاولى للحركة الأدبية الأكثر جدلاً في تاريخ الاداب هي الرومانسية.

لفهم التأثير السياسي والاجتماعي والثقافي الذي افرزته الرومانسية في العالم العربي يجعل من الضروري تحليل ليس فقط المحتوى السياسي

الاجتماعي للشعراء العرب في النصف الاول للقرن العشرين، ولكن معرفة الرواد والمفكرين الذين نطلق عليهم في العالم العربي بالرومانسيين في هذه المرحلة من نتاجاتهم الادبية التي تركوها قبل وبعد ظهور الحركة الرومانسية .

ومراجعة بسيطة لحياة رواد الرومانسية في العالم العربي نستطيع التوصل الى ان ظهور هؤلاء كان في ظروف مادية وثقافية محددة، ويتضح وبصورة جلية طريقة التفكير في البيئة التي كانوا يعيشون فيها، والزمان والمكان وظروف ظهورهم، والاهم من هذا كله هو ما الاليات ومفاهيم المعرفة التي تؤهلهم لتأدية هذا الدور ووصف وتفسير الحقيقة المادية والاجتماعية التي كانوا يترقبون بها؟

أهمية هذا البحث هي تشخيص الظروف المادية التي مر بها العالم العربي في مرحلة ظهور الرمانسية ، كالظروف الايديولوجية لبعض المفكرين والأدباء الذين اسهموا في ظهور هذا التيار الأكثر جدلاً في تأريخ الأدب، وكما مر ذكره آنفاً.

وتوجهنا يتركز في مستوى ونوعية التحليل فيما يخص الحركة الرومانسية العربية، وهنا تظهر اسئلة اضافية تعمل على ترسيخ الرومانسية، مثل كيف كان يفكر الرومانسيون في العالم الذي يحيط بهم؟ بأي طريقة يمكن اكتشاف بنية التفكير الحاضرة بين المنغمسين في الحركة الرومانسية؟ وما حقيقة العلاقة الموجودة بين الفكر الرومانسي والوضع السياسي والفكر الاجتماعي الثقافي؟ واي انطباع احدثته الرومانسية في اعادة تكوين الهوية المسماة بالأمة؟ وما الحلول التي يمكن ان تحققها الرومانيسة في فهم حقيقة المرحلة في كل بساطتها وتعقيداتها والتغيرات والتطورات وحتى العثرات منها...الخ؟

اسئلة لتكملة الغرض التفسيري الرئيس لهذا البحث، الذي يتطرق الى مظاهر عدة للحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفنية، والنقص في مثل هذه البحوث كالعلوم الانسانية، وتأريخ الادب والنقد ...الخ .

- **الأدب العربي والتطور التاريخي**

الأدب العربي الحديث كان يدور في الفلك نفسه الذي كانت تدور به الاداب التقليدية القديمة، إذ كانت معاناة المجتمع، والامية والفقر، فالشعر كان يعالج الموضوعات نفسها التي كان يعالجها منذ قرون وبدون اي تغيير او اي اضافة تذكر. الذي حصل بعد ظهور الحركة الرومانسية ان التغيير لامس كل القطاعات الاجتماعية، والسياسية والاقتصادية وحتى الادبية، والتي كانت تتناغم مع التغيرات التي يعيشها المجتمع في مراحل تطوره .

"الادب هو الجزء التأريخي لمرحلة برمتها، يعد كوحده منسقة، الادب يعتمد على المجتمع، يمثله ويعتمد كذلك على المرحلة"[٢]

البداوة كانت تمثل الحضارة العربية ووجه من اوجه انسانيتها وهذا يجعلها النموذج الأصلي الثقافي والأخلاقي لتلك الحضارة، ولا ينحصر العرب قبل ظهور الاسلام بطبقة البدو ورعاة الابل كما هو معروف وحسب متطلبات الحياة في شبه الجزيرة العربية، الا انه كانت هناك طبقة من المزارعيين والارضي الزراعية، وقطاع يمثل حركة النقل التجاري، كالقوافل التي كانت تقطع الصحاري الواسعة كانت تمثل تطورا ملموسا بين الواحات والمدن، كمكة والمدينة وكانت تمثل طبقة اجتماعية مهمة من التجار.

كان الماء يمثل رمز الحياة والكرم الى حد جعل العرب يطلبون المطر من اجل ان تسقي قبور موتاهم (صلاة الاستسقاء) "أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ" (٣٠).

والعرب هم مجموعة من الاصول العرقية المتعددة وحسب التوراة والانجيل والقران، عرب الجزيرة العربية هم من سلالة سام ابن نبي الله نوح، واول العرب المسجلين وحسب الوثائق ينحدرون من عاصمة الانباط "البتراء" الاردن حاليا.

اخرون عرفوا بالعرب المستعربة والذين يمثلون سكان بلاد وادي الرافدين المعروف تأريخيا (بلاد مابين النهرين) العراق حاليا، وسكان الشرق الاقصى وارض البربر وموريتانيا ومصر والسودان ومناطق اخرى .

نستطيع ان نقسم اصول العرب على مجموعتين:

- العرب الاعاربة ذوي الاصول النقية: هم العرب الذين يمثلون تأريخيا سلالة سام ابن نبي الله نوح والمعروفون بالقحطانيين، هذه المجموعة لا تتكلم اي من لغات العربية البدائية ولكن يتكلمون لغات الجنوب السامية، كالسبأية والقباطانية والحضرموتية.
- العرب المستعربة: وهذا المصطلح يمكن استعماله في عدة اماكن، فيطلق لتعريف بالعرب الذين يعتبرون من سلالة نبي الله ابراهيم من ابنه اسماعيل، وهم العرب الذين سكنوا مكة ويعتبر نبي الاسلام محمد (صلى الله عليه وسلم) وقبيلته قريش من هذه السلالة.

غالبية العرب العظمى تدين بالاسلام، والمسيح يمثلون اقلية وكذلك نسبة من اليهود. ينقسم المسلمون الى طوائف، كالسنه والشيعة والعبادية والعلوية والاسماعيليه والدروز. والطوائف الديانة المسيحية والذين يتبعون بشكل عام كنائس الشرق كالاقباط والمارونيين والسريان واليونان الارثذوكس واليونان الكاثوليك. فقبل ظهور الاسلام غالبية العرب كانت تدين بعبادة الاوثان مثل هبل واللات ومناة والعزة، ولكن بعض القبائل كانت قد تحولت في عبادتها الى المسيحية او اليهودية وهناك مجموعة تسمى بالاحناف، الذين رفضوا الشرك وهم اقرب قليل من التوحيد، وحاليا فأن غالبية العرب هم مسلمون.

المسلمون السنة غالبية عظمى في معظم الاراضي التي تمثل شمال افريقيا، اما الشيعة فيتمركزون في البحرين وجنوب العراق ووسطه والاراضي المتاخمة للملكة العربية السعودية وجنوب لبنان وجزء من سوريا وشمال اليمن

وايران. ويوجد بين القبائل العربية رابطة قوية هي اللغة، ويفتخر العربي بغنى لغتة ويحرص على الحفاظ على نقائها، ولذلك يعد الشعراء من طبقة المميزين والمحظوظين، وكان البدو يستمعون اليهم ولرواياتهم.

"وان كان العرب يعانون الانقسامات السياسية، كانت هناك رابطة قوية بينهم، فقبل الاسلام كانت الافكار الدينية والمعتقدات...وتدعم هذه النظرية اللغة الشعرية والتي كان يشارك بها مسيح الحيرة من مدن العراق القديمة اسوة برعاة الجبال في جنوب مكة"[٣].

الشعر العربي او انجبل الادب العربي كما كان يطلقه النقاد على ما كتبه الكتاب العرب وغير العرب باللغة العربية من قبل الكتاب العرب وغير العرب، وفي هذه النقطة لا يفوتنا ان نشير الى اول ما دون من نتاجات الشعر العربي والمعروف بالمعلقات، وان كان بوجود اعتقاد ان الشعر المروي هو اقدم من ذلك بكثير، ففي ملحمة كلكامش المكتوبة على الارجح في العام ٢٦٠٠ قبل الميلاد في مملكة بابل وقبل ظهور الالياذة والاوديسيا، او حتى في اناشيد الحرب وفي ابتهالات المعابد.

" الشكل الاولي للشعر العربي وبدون ادنى شك يتمثل في الاغاني التي كان يدندن بها رعاة الابل في رحلاتهم الطويلة وتكون على وقع ايقاع ركائبهم"[٤]. دي كارودي يدعم هذه الحقيقة بقوله: " ان القبائل في بداية نشأتها كانت تمزج الشعر بالحرب والدين، الى حد تجعل ان اوائل نتاجات الفن هي عبارة عن اناشيد وطينة وابتهالات دينية"[٥].

إن أغراض موضوعات الشعر العربي ممتدة بشكل رئيس من المرحلة المعروفة بالجاهلية، وهي المرحلة التي كان يطلق عليها قبل ظهور الاسلام، إذ عرفوا شعر الغزل والوصف والمديح والهجاء والشعر الملحمي.

وكان للشاعر مكانة اجتماعية حيث يعد نتاجه الشعري ارث تعتز به القبيلة، ويعد كذلك ناطقها الرسمي، "عندما يولد شاعر في احدى العوائل تجتمع

القبائل المحيطة بها وتتمنى لها الحظ المبارك...فالشاعر يعد كالسلاح للدفاع عن شرف القبيلة، فسلاح من الكلمات يكون اكثر تأثيرا من الاسلحة التقليدية"[٦].

وبعد ظهور الاسلام في شبه الجزيرة العربية حصل تغيير جذري في المجتمع العربي في كل ميادين الحياة ولاسيما في المجال الادبي، ففي القرآن الكريم اقترن اسم الشاعر ببعض المصطلحات كالمجنون والساحر والمتنبيء والشيطان، التي كان يقصد بها ان الشعر كان مرتبطا بالشر وليس مع الحق، فكان يعامل معاملة السحر والجنون.

"وَالشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُنَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَاد يَهِيمُونَ(٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَيَفْعَلُونَ(٢٢٦) إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّـلِحَـتِ وَ ذَكَرُواْ اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُواْ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَىَّ مُنقَلَب يَنقَلِبُونَ(٢٢٧)"[٧]

كان للشعر العربي في مرحلة ما قبل الاسلام عيوب منها:

- الشعر في الجاهلية كان حليفا للسيف في المعارك التي كانت تدور رحاها بين القبائل.
- وكانت ايضا حليفا لعبادة الاوثان التي سخرتها قريش لتكون احد اعمدة نفوذها وتجارتها.
- وفي عهد حكم بني امية استعملها الامويين لتنويم الشعب وحرف تفكيرهم عن المعتقدات الدينية والثورة التي نجمت عن ظهور الاسلام.
- وفي عهد السلاطين العثمانيين استعمل الشعر لدعم سلطة الدولة، إذ يتم سرق اموال الامة ويتم نفقتها في امور تافهة، وقسم من هذه الاموال كانت تذهب الى جيوب الشعراء الذين لا يترددون ولا يتهاونون في مدح السلطان ونعته بامير المؤمنين وظل الله في الارض.

وكان سقوط بغداد على يد الغزو المغولي والمأسي التي تلت ذلك يمكن اعتباره بداية لما عرف بمرحلة الانحطاط والجمود. هكذا تم وضع الشعر العربي تحت وطأة الغزو المغولي، عبارة عن معاناة مستمرة حيث يمارس المحتل كافة انواع المجازر والتعذيب، ماحيا من التأريخ الوجود العربي والاسلامي بشكل عام ومن ذاكرته الثقافية بشكل خاص، فقد ألقيت الاف الكتب وفي مختلف العلوم في نهر دجلة، فتغير لون المياه الى اللون الازرق بفعل حبر الكتب الذي ذابت في مياه النهر، وكانت كتب نفيسة ليس فقط بقيمتها المادية ولكن بمحتواها العلمي والادبي، وتلت هذه مرحلة جديدة واسدل الستار عن حقبة تعتبر الاكثر سوادا في تأريخ الامة العربية وبداء مرحلة عرفت فيما بعد بعصر النهضة.

تسرب الرمانسية الى الادب العربي المعاصر.

بعد مضي حقبة طويلة من الانحطاط والجمود الذي ساد العالم العربي وفي كل الميادين، لاح في الافق بصيص امل، هذا البصيص اطلق عليه بما يعرف بعصر النهضة بعد حقبة سبات طويلة بفعل سيطرة الاتراك على غالبية الدول العربية . بعض الدول كمصر ولبنان تزعما حركة ثقافية نتجت عن مرحل التحول السياسي الاجتماعي والثقافي الاقتصادي.

الرؤيا العامة للادب العربي في مرحلة عصر النهضة تغيرت تغيرا جذريا نحو مرحلة جديدة ذات صبغة ثقافية هي اكثر قربا للمشهد الثقافي الذي ساد اوربا، إذ نستطيع ان نلاحظ التغيير في بنية القصيدة ومحتواها وشكلها، حيث نسمع صرخات التحرر وتعليم المراة الام، والمرأة وفق المفاهيم الجديدة هي الجزء الاكثر اهمية في المجتمع، فهي تمثل نصف المجتمع، وتعليمها ومحو اميتها يعني اعداد جيل ذا قيم عالية.

تعد مرحلة استيقاظ من سبات عميق استمر لما يقارب الاربعمائة عام، وفيها نلاحظ بوادر وملامح التيار الجديد الذي بدأ يطرق ابواب العالم العربي، والحديث دائما عن الشعر العربي، وبزوغ اصناف اخرى من الادب التي تعد نقطة

التحول في الادب العربي. هذه المرحلة بدأت عندما احتل نابليون مصر عام ١٧٩٨، وهي الحملة العسكرية الفرنسية التي كان هدفها احتلال مصر لقطع طريق الهند على البريطانيين والذي يدخل ضمن صراعها مع بريطانيا العظمى. فنتج عنها هيجان ثقافي لامس البنية الداخلية والخارجية للحياة في مصر ولكسب ثقة الشعب توجه الفرنسيين للمصريين بخطاب مدح التعالم الاسلامية واعربوا عن نيتهم لتحريرهم من جور المماليك والعثمانيين، وفي الوقت نفسه انشأوا في القاهرة وبالتعاون مع هيئة العلماء المعهد المصري، فكانت البدية لتجديد البنية الادارية العامة للبلاد وانشاء عدة اعمال لتحسين نوعية الحياة وبستخدام اخر ماتوصلت اليه التكنلوجيا في اوربا في ذلك الوقت.

"مصر ونتحدث فكريا هنا ان النخبة من مثقفيها لا زالوا متعلقين بالماضي ولم يكون ينظروا الى المستقبل بشكل حاسم حتى دخول الاحتلال البريطاني مصر عام ١٨٨٢ والذي اقنعهم ان اشكال الحياة التي كانوا يعتنقون قد ولت"[٨].

فقد شرع نابليون القوانين الهدف منها القضاء على الاستعباد والاقطاعية، والحفاظ على حقوق المواطنين وبموافقة مجلس الاعيان، فمن الطبيعي ان تكون مصر ولاسيما بعد الاحتلال البريطاني في عام ١٨٨٢ نقطة الاتصال بين الحضارتين ولتكون الرائدة في قيادة التطور الادبي العربي. فتعد مصر مهد روح التجديد، إذ ظهر جيل تبنى هذا الاسلوب الجديد في الحياة والادب، وعلى رأس هذا الجيل محمود سامي البارودي واحمد شوقي وحافظ ابراهيم وعرفوا بمدرسة الاحياء. وبعد هذه المدرسة ظهرت في الافق عدة مدارس ادبية اتخذت الرومانسية كطريقة للتفكير والكتابة . وندرج منها:

- مدرسة الاحياء وروادها محمود سامي البارودي خليل مطران.
- مدرسة المهجر ومن روادها جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة.
- مدرسة الديوان وروادها عبد الرحمن شكري ومحمود عباس العقاد.

- مدرسة ابولو وروادها هم احمد زكي وابراهيم ناجي.

ويمكننا القول ان الرومانسية كانت تحمل فكرة الايمان العميق بالمستقبل، وضرورة تطور المجتمع والتي تظهر على وجهين في العالم العربي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

١. تيار داخلي ومهمته المراجعة والنقد الداخلي للمجتمعات العربية بما يسمى باعادة اصلاح المفاهيم الاسلامية، والذي يشير اليه مصطلح عصر النهضة.
٢. و تيار خارجي المنشأ والذي كان نتيجة للاتصال الذي حدث بين الادب العربي والاداب الغربية والذي ظهر بشكل خاص في العلوم الادب، ومهمته ببساطة هي ازالة عوائق الماضي والاندفاع نحو الحداثة المتمثل بالموديلات الغربية.

مستوى التأثر الذي احدثته الرومانسة في الادب العربي المعاصر كان على المستويات:

- الاساطير: وتعد الاضافة الابرز التي حملتها الرومانسية الى الادب العربي المعاصر، فالاساطير الاغريقية والرومانية تعد مصدرا مهما بالنسبة للرومانسية العربية.
- الشكل الشعري: اثر الومانسية ترك ايضا بصمة واضحة على الشعر العربي فيما يخص الشكل الشعري ولاسيما فيما يتعلق بوحدة ووزن القصيدة، مظاهر التجديد تجلت في كسر وحدة وزن القصيدة، ففي هذا الاتجاه اتخذ الرومانسيون عدة اوزان، كتجزأة القصيدة الى عدة ابيات وكل مجموعة من هذه الابيات تتصف بوزن مختلف عن المجموعة الاخرى، اي ان القصيدة الواحدة تحتوي على عدة اوزان مبتكرة.

- الاصناف الادبية: واهم هذه الاصناف التي اكتشفها الادباء العرب عن طريق تيار الرومانسية الغربية كانت فن الرواية والقصص والاعمال المسرحية، فهذه الاصناف الادبية كانت مجهولة بالنسبة للعرب، او لم تكن مفضلة بالنسبة لهم كما كانت بالنسبة للغربيين بقواعدها الثابتة ومكانتها الاجتماعية.

على ما يبدو ان الرومانسية العربية هي المحاولة المسجلة الاكثر اهمية فيما يخص اثرها في العالم العربي في اوائل القرن العشرين وذلك بوضوح مظهرها وجدية مفاهيمها وجرأتها وثورة التصور والتطبيق، وهذا التوافق نراه جلياً في تغير مفاهيم الادب واشكاله التفسيرية، ونستطيع ان نقول ان هذا التغيير استفاد كثيرا من الحركات الادبية التي ظهرت سابقاً، فوجدت الرومانسية الطريق معبدا لظهورها بشكل جلي وواضح المعالم في الادب العربي المعاصر.

لم تكن الرومانسية فقط ثورة في الاطار الادبي، ولكن حاولت كسر الاطار الذي وضعته الاصناف الادبية التي كانت سائدة في تلك المرحلة كالكلاسيكية الجديدة، ورفض مصطلح فصل الاصناف الادبية وقواعد هذه الاصناف، "ان اكبر نتاج للرومانسية هو الحساسية الجديدة فيما يخص الذاتية لرسالة الطبيعة في الاطار الفلسفي الادبي"[٩].

ويرافق هذا التطور الداخلي الذي حصل في الادب العربي في النصف الثاني للقرن التاسع عشر، يجب ان نشير الى الوجوه الادبية التي هاجرت من الحياة الاوربية الى العالم العربي بشكل عام ومصر بشكل خاص، فالعناصر التي ساعدت على هذا التطور هي كثيرة ومنها:

- حركة الترجمة التي قام بها المهاجرين السوريين الى مصر وفيما بعد قام بها المصريون بانفسهم.
- حركة الصحافة التي ساعدت كثيرا على انتشار الترجمة لمختلف الاداب الاجنبية، ولاسيما بالنسبة للاداب الابرز، كالادب الفرنسي والادب

الانكليزي وفي مجال الرواية. "على الرغم من ان اول اتصال للعرب بالصحافة كان في مصر فقد ادخله جيش نابليون...الا ان البداية الحاسمة يجب ان نبحث عنها في لبنان، فالجريدة الرسمية الوقائع المصرية صدرت الاول مرة عام ١٨٢٨"[١٠].

وبعد مراجعة النتاج الادبي للرومانسيين العرب نستطيع ان نستخلص ان تيار الرومانسية هو تيار مستورد الى الادب العربي ولم ينتج من التطورات والتحولات الداخلية والجدلية، فهو بسهولة يخضع الى المنطق، ولذلك فانه من المقبول تصور ظهور هذا التيار في الادب العربي، وبفضل طبيعة التطورات التي حصلت في العالم العربي في بدايات القرن العشرين، كل هذا يحملنا الى ان نجزم ان الرومانسية الغربية هي احد اوجه الرومانسية العربية والاوجه الاخرى هي الادب العربي والتيارات الادبية الاجنبية، وهذه النقطة الاخيرة تعد نقطة حيوية الا انها ستساعدنا على اكتشاف خصوصية الرومانسية العربية ومقارنتها مع الرومانسية الغربية.

مواصفات الخطاب الرومانسي العربي:

- ☐ الخطاب الرومانسي هو عبارة عن رسالة بين المرسل والمتلقي.
- ☐ الخطاب الرومانسي هو عبارة عن رسالة بمحتواها المادي واللفظي واللغوي.
- ☐ الخطاب يمثل جهدا ابداعيا من خلال ادخال الالفاظ التي لم تكن مستخدمة سابقا، فتتصل فيما بينها منتجة بعد ذلك ما يعرف بالاسلوب الرومانسي العربي.

النظرية الادبية للرومانسية العربية.

النظرية الادبية لتيار الرومانسية العربي يعني مجموعة المفاهيم والرؤى المتعلقة بعملية الابداع الادبي المتظمنة الشكل والمحتوى وفق الطريقة التي فهم بها الرومانسيون العرب والطرق التي عبروا بها عن هذه المفاهيم.

المثل الذي اخترناه كمثل لهذه المرحلة هو الشاعر اللبناني خليل مطران الذي عاش تلك المرحلة وظروفها، عندما كان الصراع بين القديم والتحول الى الافق الجديدة للشعر في العالم العربي في أوجه، فلا تظهر في شعر مطران ملامح النظرية البنيوية بشكل ملحوظ، كوضوخ الافكار المقيدة والرؤى الواضحة بنهايات واعية ومستقلة وناضجة، ويحدونا بذلك المنطق الذي يقضي بأن بداية اي ظاهرة ادبية فان اتباع هذه التيار يعانون من حالة من الغموض وعدم المقدرة على تجاوز مرحلة التحول الى حالة اخرى مختلفة عما هو مألوف، وان امكننا العثور على بعض الجذور للرؤى التي تعد بدايات لنضوج عقول وافكار الادباء العرب نحو النوع الجديد من الادب.

"خلال هذه المرحلة (القرن التاسع عشر) تطورت الافكار الحديثة في العالم العربي، وان كانت بشكل بطيء، فالكتاب الذين تبنوا ودافعوا عن هذه الافكار هم قلائل جدا، والحلقات المحافظة يرون ان كل تجديد هو مصدر من مصادر الاسى للمسلمين والعرب بغالبيتهم، فنراهم يحاولون الحفاظ على ما وصلهم من اسلافهم وتجنب التلوث بالافكار الغربية"[١١].

"لم يكن لديهم نية التجدد، او على الاقل القناعة بالمصطلحات والجمل ولكن قناعتهم تصب في ان الشاعر ينشئ موضوع من البداية حتى النهاية ككبار شعراء الغرب... ولكن التجديد الذي يحتاجه الخلق والابداع وتشكيل موضوع من البداية الى النهاية فلم يجرئ عليه احد والذين حاولوا التجديد لحد الان يعدون كبارا، كانت هناك محاولات ولكننا الى الان في طور النشوء"[١٢].

بالنسبة لمطران فأن التجديد لم يقتصر في هذا الحد، يعني شكل الادب، ولكن التجديد شمل الشكل والجوهر، فالشاعر في مقدمة كتابه يقول : "اني اصرح

وبدون تخوف بأن هذا الشعر ولا اعني نظامه الهش هو شعر المستقبل، لأنه شعر الحياة والحقيقة والخيال كل"[١٣] .

أهم مظاهر النظرية الادبية للرومانسية العربية هي:

١. الثورة ضد القديم.
٢. رفض القديم بشكله.
٣. رفض القديم بمضمونه.
٤. الدعوة للتجديد.
٥. هوية الادب.
٦. محتوى الادب.

الاغراض الادبية للرومانسية العربية

١- الانا الرومانسي
٢- الطبيعة.
٣- الحب.
٤- القومية.
٥- المصير.

وفقا للمؤرخين فأن العالم العربي بعث من حالة الجمود التي مر بها بعد الاستعمار الفرنسي لمصر، فبدأ يتبنى افاق جديدة في جميع مظاهر الحياة، كأن تكون مظاهر سياسية او اقتصادية او اجتماعية او ادبية وثقافية، الان مرحلة التغيير كانت تحتاج الى مظاهر ثقافية جديدة، الان الادب القديم لم يعد يخدم ويلبي حاجات المرحلة الحالية .

إن التغييرات التي حصلت دعمت بالبعثات الدراسية العائدة من اوربا بعد اكتساب مختلف العلوم والثقافات التي كانت في اوجها في تلك البلدان، مكتشفين

مختلف المبادئ الجديدة للحياة، كحقوق الانسان وحقوق المرأة والتعليم والدستور وانواع نظم الحكم.

هذا الجيل من المثقفين كان مدعوم ايضا من قبل الكتاب المهاجريين الذين سكنوا المهجر، وهؤلاء الكتاب عاشوا وشربوا من مختلف منابع الادب الغربي، كحرية التعبير، وسهولة النظم الشعري واستعمال مختلف التعابير للتعبير عن المشاعر الانسانية.

ومن مراجعة هذه النتائج نستخلص النقطتين الآتيتين:

- ان الرومانسية كتيار ادبي هو دخيل على الادب العربي ولم ينشأ ببساطة من تطورات داخلية وجدلية كما كان ظهوره في الاداب الغربية، ولو ان هذا الرأي بداية قابل للجدل.
- نعتقد ان ظهور تيار الرومانسية في الادب العربي الحديث وان لم ينشأ في حضن هذا الادب الا انه كان ضروريا اخضاعه الى المنطق، لأنه من غير المقبول تصور ولادة ظاهرة الرومانسية في الادب العربي منفصلة عن طبيعة التطورات التي طرأت على العالم العربي في بدايات القرن العشرين، معبدة الطريق لقبول الرومانسية كتيار ادبي.

كل هذا يحملنا الى الاستنتاج بأن الرومانسية الغربية هي احدى اوجه الرومانسية العربية وهو احد الاوجه العديدة للادب العربي مثل التيارات الادبية الاجنبية وهذه النقطة تعتبر جدا مهمة لأنها تساعدنا على اكتشاف مواصفات الرومانسية العربية ومقارنتها بالرومانسية الغربية .

فالرومانسية في الاداب الغربية هم نتاج التغييرات التي حدثت في جوهر هذه الادب في نهايات القرن الثامن عشر، اذا هو تغيير ناتج عن طبيعة هذه الادب وهو ما جرى للادب العربي وان كان مستوردا من بعض الجهات، فقد تأثر بموصفات ونوعية الادب العربي الحديث وعناصره الثابتة.

موصفات الخطاب الرومانسي الغربية:

-الغنى اللغوي.

-التعدد.

-البساطة.

-وتعدد استعمال الاساليب الذي يظاعف عمل تركيبته.

الخلاصة:

كأي حركة ادبية، فالرومانسية تعد حركة ذات نظرية ادبية معتمدة على مظاهر مختلفة كالثورة على القديم، ورفض القديم بشكله ومضمونه، والدعوة الى التجديد، ووجهة نظر الرومانسيين بالنسبة لهوية الادب والمحتوى الادبي، واهم الاعمدة التي ارتكزت عليها الرومانسية كانت الانا الرومانسية والطبيعة والحب والوطنية والمصير.

---

[1] Navas Ruiz, Ricardo. El Romanticismo Español. Editorial Cátedra, Madrid 1990. p.13.
[2] Wellek, René. Teoría Literaria, Crítica e historia. Editorial Laia, S. A, Barcelona 1983: 28.
[3] Broclmann, Carl. Qeset Al-Adeb Al-´rabi (Historia de la Literatura árabe) V1. Editorial Dar EL-Ma'aref, Cairo 1983: 42.
[4] Tieghem, Paul Van. Historia de la Literatura Universal. Editorial Miguel Arimany S. A, Bercelona1975: 55
[5] De Gardoqui, José. La Literatura Factor Necesario para la Guerra Moderna. Editorial la Imprenta de Rafael y de Aldecoa, Madrid 1924: 8
[6] Nicholson, Reynold Alleyne. A literary History of the Arabs. Editorial Richmond, Curzon Francia 1995: 71.
[7] القران الكريم، سورة الشعراء، الايات ٢٢٤ _٢٢٧ .
[8] Vernet, Juan. Literatura árabe. Editorial Labor, Barcelona 1968: 167
[9] Del Pardo, Javier. Historia de la Literatura Francesa. Editorial Cátedra, Madrid 1994: 780
[10] Vernet, Juan. Literatura árabe. Editorial Labor, Barcelona 1968: 172
[11] Martínez Martin, Leonor. Antología de la Poesía Árabe Contemporánea. Editorial Espasa-Calpe S. A, Madrid 1972: 16.
[12] Ëuha, Michel. Jalil Mutran. Editorial Dar El-Masería, Beirut 1981: 94
[13] Mu¦ran, Jalil. Diwan (Diván) El-Jalil V1. Editorial El-Ma'aref, Cairo: 7.

قائمة المصادر:

- ريكاردو لويس رويث، الرومانسية الاسبانية، دار نشر كاتدرا مدريد ١٩٩٠.
- رنيه ولك، النظرية الادبية نقدا وتأريخ، دار نشر لايا، برشلونه ١٩٨٣.
- خوليو كورتس، القرأن الكريم باللغة الاسبانية، سان سلبادور ٢٠٠٥.
- كارل بروكلمان،قصة الادب العربي، المجلد الرابع،دار نشر المعارف، القاهرة ١٩٨٣.
- باول تايج مان، قصة الادب العالمي، دار نشر ميغيل ارماني، برشلونا ١٩٧٥.
- خوسه دي كارودي، الادب كوسيلة ضرورية للحرب الحديثة، دار نشر مطبعة راقئيل دي الديكوا، مدريد ١٩٢٤.
- ريتشارد نيكلسون، قصة العرب، دار نشر رجموند، فرنسا ١٩٩٥.
- خوان برنت، الادب العربي، دار نشر لابور، برشلونا ١٩٦٨.
- خوسه دل باردو، قصة الادب الفرنسي، دار نشر كاتدرا، مدريد ١٩٩٤.
- لويس مارتينث، مختارات من الادب العربي المعاصر. دار نشر اسباسا، مدريد ١٩٧٢.
- ميخائيل جحى، خليل مطران، الدار المصرية للنشر، بيروت ١٩٨١
- ميخائيل نعيمه، الغربال، نوفل للنشر، بيروت ١٩٩١.
- حنا فاخوري، تأريخ الادب العربي، المكبة البوليسية للنشر، بيروت ١٩٨٣.
- خليل مطران، ديوان الخليل، المجلد الرابع، دار المعارف للنشر، القاهرة ١٩٧٨.

The Impact of Romance in Arabic literature in the early 20th Century

SAMIR JAMIL HAMOOD
UNIVERSITY OF JAEN/SPAIN

Abstract:

Romanism is a major artistic, political, social and ideological revolution of great importance. It has occupied part of the 19th century and much of the 20th century in Europe and the rest of the world, and many literary works continue to show their features, such as freedom, individualism, democracy and nationalism.

Important terms

Literature, romance, Arabic literature, society, comparative literature, revolution, Europe.